الرسالة الواعظة

فى نفى دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله

للداعى أحمد حميد الدين الكرمانى

تحقيق

الدكتور محمد كامل حسين

منفصلة من مجلة كلية الآداب ، المجلد
الرابع عشر ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٢

مطبعة جامعة فؤاد الأول
١٩٥٢

الرسـالة الواعظة

فى نفى دعوى ألوهية الحـاكم بأمر الله

للداعى أحمد حميد الدين الكرمانى

تحقيق الدكتور محمد كامل حسين

مقدمة

وقع بين يدىَّ نسخة خطية لمجموعة الرسائل التى عرفت فى أدب الاسماعيلية باسم «رسائل الكرمانى»[1] للداعى أحمد حميد الدين بن عبد الله ابن محمد الكرمانى الملقب فى تاريخ الاسماعيلية بحجة[2] العراقين. وتشتمل هذه النسخة على ثلاث عشرة رسالة، منها إحدى عشرة رسالة تنسب للكرمانى وهى :

١ — الرسالة الدرية فى معنى التوحيد .

٢ — رسالة النظم فى مقابلة العوالم بعضها بعضا .

٣ — الرسالة الرضية فى جواب من يقول بقدم الجوهر وحدوث الصورة .

٤ — الرسالة المضيئة فى الأمر والآمر والمأمور .

٥ — الرسالة اللازمة فى صوم شهر رمضان وحينه .

٦ — رسالة الروضة فى الأزل والأزلى والأزلية .

(١) Ivanow: A Guide to Ismaili Literature. p. 44.

(٢) راجع ما كتبناه عن الحجة فى كتاب أدب مصر الفاطمية ص ١٩ وما بعدها . وما جاء فى كتاب راحة العقل للكرمانى ص ١٣٤ وما بعدها (نشر محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى) . وما جاء فى المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٢ (نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

٧ — الرسالة الزاهرة فى جواب مسائل .

٨ — الرسالة الحاوية فى الليل والنهار .

٩ — رسالة مباسم البشارات بالامام الحاكم بأمر الله .

١٠ — الرسالة الواعظة فى الرد على الأخرم الفرغانى .

١١ — الرسالة الكافية فى الرد على الهارونى الحسنى الزيدى .

هذه هى الرسائل التى تنسب إلى الكرمانى فى هذه المجموعة ، أما الرسالة الثانية عشرة فهى فى الرد على من ينكر العالم الروحانى للداعى شهريار ابن الحسن ، والرسالة الثالثة عشرة فهى خزائن الأدلة للداعى أبى يعقوب إسحق بن أحمد السجستانى (السجزى) .

وتقع هذه النسخة الخطية فى ٣٩٠ صفحة ، فى كل صفحة ١٥ سطراً كتبت بخط بين الرقعة والنسخ ، وروجعت على نسخة أخرى بدليل ما على الهوامش من تصحيحات . وقد جاء فى ختام هذه النسخة :

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب ، إنه خير مسئول وأكرم مأمول ليوم الحساب ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله عدد قطر السحاب ، وقع الفراغ فى اليوم الثلاثاء الثانى من شهر ذى الحجة من سنة ١٣٠٣ﻫ ثلاثة وثلثمائة بعد الألف من السنين من هجرة النبى المختار صلى الله عليه وعلى آله المصطفين الأخيار ، ما جن ليل وأضاء النهار ، فى عصر الداعى الأمين — حرسه الله — سيدنا ومولانا عبد الحسين حسام الدين ، أطال الله بقاءه ، وبلغنا به نهاية المأمول ، بخط أقل ممـاليكه ، وأحقر غلمـانه ابراهيم ولد الشيخ الفاضل غلام حسين ، وفقه الله على طاعة مولاه العلى ، بحرمة محمد وآله الهداة من نسل على .

فالرسالة الواعظة التى أنشرها الآن ، هى إحدى رسائل الكرمانى التى وردت فى تلك المجموعة الخطية ، وقد ذكرها الكرمانى فى كتابه « راحة العقل » إذ قال : ثم إنه تعالى ليس بجسم فيكون لنا طريق إلى الكلام عليه بمـا يليق بالأجسام ، ولا فى جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما يلزم

فى الأجسام ، لما يوجبه الدليل ، على ما بيناه فى رسالتنا المعروفة «بالواعظة»[1] وبالرجوع إلى « الرسالة الواعظة » التي بين أيدينا الآن نجد هذه الآراء التى تحدث عنها فى « راحة العقل »[2] . كما نرى في « الرسالة الواعظة » إشارة إلى رسالة « مباسم البشارات »[3] . ومعنى هذا أن صاحب كتاب راحة العقل هو صاحب الرسالة الواعظة ورسالة مباسم البشارات ، وهو أحمد حميد الدين ابن عبد الله بن محمد الكرمانىّ . لم يصلنا شىء عن حياته إلا أنه كان حجة العراقين (أى فارس والعراق) فى عهد الحاكم بأمر الله المتوفى سنة ٤١١ هـ . ويخيل إلى أنه كان أكبر شخصية علمية إسماعيلية فى عصره ، فقد وصفه الداعى إدريس بقوله « هو أساس الدعوة الذى عليه عمادها ، وبه علا ذكرها »[4] ونحن نعلم من تاريخ الدعوة الاسماعيلية أن علماء هذه الدعوة كانوا مختلفى الآراء ، ينقض بعضهم بعضا ، ويخطىء أحدهم الآخر ، فمثلا وضع الداعى النخشبيّ كتابه « المحصول »[5] فى فلسفة المذهب ، فجاء بعده أبو حاتم الرازىّ وألف كتاب « الاصلاح » خالف فيه ماجاء بكتاب «المحصول» ، ثم جاء أبو يعقوب السجستانىّ ووضع « كتاب النصرة » يدحض فيه أقوال أبى حاتم الرازى وينتصر للنخشبي[6] ، وجاء بعده الكرمانى فحاول فى رسالته «الرياض» أن يوفق بين آراء الشيخين أبى يعقوب السجستانى وأبى حاتم الرازى[7] ، ثم لا نكاد نجد خلافا يذكر فى فلسفة المذهب بين علماء الدعوة بعد الكرمانى ؛ وإن كنا نجد خلافا شديداً بينهم فى المسائل التأويلية[8] . فكل الدعاة

---

(١) الكرمانى : راحة العقل ص ٤٣ (طبع مطبعة النيل بالقاهرة) .
(٢) أنظر ص ١٨ من هذه الرسالة .
(٣) أنظر ص ٢٣ من هذه الرسالة .
(٤) إدريس عماد الدين : كتاب عيون الأخبار (نسخة خطية) .
(٥) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ — ٢٧٧ (طبعة محمد بدر) ، ناصرى خسرو : كتاب خوان الاخوان ص ١١٣ — ١١٥ (طبعة الدكتور يحي الخشاب) . ونلاحظ أن البغدادى كنى النخشبي بأبى عبد الله بينما كناه ناصرى خسرو بأبى الحسن .
(٦) Ivanow : Studies in Early Persian Ismailism p. 115-120.
(٧) Ivanow : A Guide to Ismaili Literature p. 46.
(٨) راجع ما كتبناه عن ذلك فى : ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ص ١١٧ (طبع دار الكاتب المصرى) والمجالس المستنصرية (طبع دار الفكر العربى) وكتاب أدب مصر الفاطمية ص ٣٤

على اتفاق فى فلسفة الدعوة بعد الكرمانىّ ، بل لا أغالى إذا قلت إنهم لم يأتوا بشىء جديد بعده ، بل اكتفوا بشرح أقواله ، أو الاقتباس منها للاستشهاد بها على صحة أقوالهم التى لم تخرج عن آرائه ، ومن هنا يتضح لنا قيمة مؤلفات الكرمانى ومركزه فى الدعوة .

كان الكرمانى يقيم فى العراق متنقلا بين البصرة وبغداد ، وفيهما كان يلقى مجالس الحكمة التأويلية ، وله كتابان أحدهما يعرف « بالمجالس البغدادية » والآخر يعرف « بالمجالس البصرية » جمع فيهما محاضراته التأويلية فى البلدين [1] ، ومن الاتفاق أن يكون الكرمانى فى العراق وينتقل من حين لآخر إلى البصرة فى نفس الوقت الذى كان فيه جماعة إخوان الصفاء فى العراق وفى البصرة خاصة ، وأكثر الباحثين يذهبون إلى أن هذه الجماعة كانوا من الاسماعيلية [2] ، والكرمانى إذ ذاك كبير دعاة الاسماعيلية فى العراق ، فهل نستطيع القول إن الكرمانى كان أحد جماعة إخوان الصفا ؟ هذا ما أذهب إلى القول به ، ولاسيا بعد أن درسنا كتابه « راحة العقل » ورسائله التى ذكرتها آنفا ، فهى تتفق كلها مع آراء جماعة إخوان الصفاء ، وهناك فقرات بأكملها فى راحة العقل أسلوبها هو نفس الأسلوب الذى أجده فى بعض رسائل إخوان الصفاء ، وسنفصل ذلك كله فى بحث مستقل ، ونرجو مع تقدم الدراسات الاسماعيلية أن نوفق إلى معرفة جماعة إخوان الصفاء التى شغلت العلماء منذ وجودها إلى الآن .

ورب سائل يسأل : كيف تسنى للكرمانى أن يعقد مجالس الحكمة التأويلية فى بغداد والبصرة وهو إسماعيلى المذهب وتابع للخلافة الفاطمية فى مصر ومناوئ للعباسيين ؟ فجوابى على ذلك هو أن سياسة البويهيين كانت ترمى إلى الحرية المذهبية ، فلا عصبية مذهبية ولا إكراه فى الدين ،

---

(١) Ivanow : A Guide to Ismaili Literature p. 46.

(٢) Louis Massignon : Sur la date de la composition de Rasail Ikhwan al Safa Vol. 4. p. 324. et T. J. de Boer : Gesch des Philosophis im Islam p. 76-89.

هذه السياسة نراها واضحة جلية في رسائل وزيرهم الصاحب بن عباد [1]، فسياسة التسامح المذهبية ساعدت الكرمانى على هذا النشاط الذى أظهره بالعراق، والذى كان من نتيجته هذه المؤلفات العديدة التى تركها بالرغم من أنها كانت تخالف آراء وتعاليم السلطان العباسى المقيم فى العراق إذ ذاك

ونحن نعلم من كتب الكرمانى ورسائله أنه وفد على مصر سنة ٤٠٨ هـ، ويفهم من أقوال الداعى إدريس أن الامام الحاكم بأمر الله الفاطمى أرسل إليه يستقدمه إلى مصر حينما ظهرت بدعة تأليه الحاكم [2]، وهال الكرمانى ما رآه فى مصر من اضطراب الدعوة الاسماعيلية، ووصف ذلك فى رسالته الموسومة برسالة « مباسم البشارات بالامام الحاكم » فهو يقول « فانى لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً ؛ وللسدة العلوية زائراً، ورأيت السماء قد أظلت بسحاب عميم، والناس تحت ابتلاء عظيم ؛ والعهد فى الرسوم السالفة قد نقض، وعن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض، والرسم فى عقد مجالس الحكمة جريا فيهم بالاحسان قد رفض، والعالى قد اتضع، والسافل منهم قد ارتفع، وشاهدت أولياء الدعوة الهادية — بسط الله أنوارها — والناشين فى عصمة الامامة وأولى ولائها قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال التى تشيب لها النواصى، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التى لا يهلك بها إلا أولوا النفاق والمعاصى ؛ وهم يومئذ يموج بعضهم فى بعض، ويرى كل منهم صاحبه بفسق ونقض ؛ تتلاعب بهم الأفكار الردية، وتتداولهم الوساوس المردية، ثم لا يعلمون ما أظلم من الدخان المبين، ولا ما ألم بهم من الامتحان المستبين، فصار البعض منهم فى الغلو مرتقين إلى ذراه، والبعض فى النكص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه، والقليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم. وما قبلوه من الدين باختيارهم، وهم على شفا انحلال واختلال، وأعناق أولى الطرفين

(١) عبد الوهاب عزام وشوقى ضيف : رسائل الصاحب بن عباد ص٩٣ ، ص١٤٧ ، ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ وغيرها .
(٢) عماد الدين ادريس : عيون الأخبار (مخطوط) .

من الأبالسة إلى اختلاسهم ممتدة ، وهمها فى اصطيادهم عن اعتقادهم محتدة . . الخ »[1] .

ففى هذا النص صورة صادقة لحالة الاضطراب الذى كان عليه الاسماعيلية فى مصر حين ظهر دعاة بدعة تأليه الحاكم بأمر الله ، ولسنا فى معرض الحديث عن تاريخ هذه الحركة ، فقد أغنانا عن ذلك البحث القيم الذى وضعه المستشرق الكبير سلفستر دى ساسى[2] إذ لم تظهر بعد كتابه أبحاث لها قيمة بحثه ، إنما أريد أن لا أمر على هذا النص الذى ورد فى تاريخ ابن البطريق إذ يقول : « وصار أصحاب الهادى (أى حمزة بن أحمد أحد مؤسسى بدعة التأليه) إذا لقوا أصحاب ختكين داعى الدعاة[3] لعن بعضهم بعضا ، ويكفر كل فريق منهما بالآخر »[4] . فهذا النص يدل على أن دعاة الاسماعلية وعلى رأسهم ختكين داعى الدعاة كانوا يكفرون أصحاب بدعة التأليه ، ومع ذلك لم يستطيعوا صدهم عن غوايتهم أو معاقبتهم عقابا رادعا ، إنما اكتفى الكرمانى وهو أحد شيوخ الدعوة الاسماعيلية بوعظ دعاة التأليه ، وهو موقف يدعو إلى الدهشة حقا . ويقول ابن البطريق أيضا : « إن الحاكم أمر الدرزى أن يحسن الناس بالرقاع ، ويدعوهم بها إلى مذهبه ، فكتب رقعة إلى متولى الغلمان الأتراك يستدعى مصيرهم إليه ليقفوا على الوحى الوارد إليه من الله ، وكتب أيضا إلى ختكين داعى الدعاة ، وإلى ولى عهد المسلمين

(١) الكرمانى : رسالة مباسم البشارات (من مجموعة رسائل الكرمانى . مخطوط) .

(٢) Silvestre de Sacy : Exposé de la Religion des Druzes

(٣) ختكين الداعى المعروف بالضيف كان صاحب دواة الملك عضد الدولة البويهى ولذلك كان يلقب بالعضدى (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٥) وعينه الحاكم بأمر الله واليا على دمشق سنة ٣٩٢ هـ وعزل سنة ٣٩٤ هـ (نفس المصدر ص ٥٧) وهو الذى أوحى إلى الحاكم بهدم كنيسة القمامة سنة ٣٩٩ هـ (ابن القلانسى ص ٦٧ ولكن ابن خلكان يقول إن ذلك كان سنة ٤٠٨ هـ (ابن خلكان : الوفيات ج ٢ ص ١٣٧) ولاه الحاكم مرتبة داعى الدعاة ورد إليه أمر المجالس بأن يجرى فيه الأمر على سالف الرسم وزاد فى لقبه الصادق الأمين (سعيد بن البطريق : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٢٠٩) .

(٤) سعيد بن البطريق : ص ٢٢٤

والموفق فى الدين عميد المؤمنين ، وإلى غيرهم ، يدعوهم إلى مقالته ، فطالعوا الحاكم بما كاتبهم ، واستخبروا منه رأيه فيما ذكره لهم ، وإن كان عن أمره . فأظهر الانكار له لما رآه من إعظامهم له ونفورهم منه»[1] . فهذا دليل آخر يثبت أن دعاة الاسماعيلية كانوا ينفرون من مقالة الدرزى وأصحابه ، وأن دعاة التأليه كانوا يرسلون رقاعا إلى دعاة الاسماعيلية ووجوه رجال الدولة يدعونهم إلى مقالتهم ؛ ومن سوء الحظ لم تصلنا هذه الرقاع ، ولكن من حسن الحظ فى الوقت نفسه وصلتنا الرسالة «الواعظة» فى الرد على هذه الرقاع ، ومناظرة أحد دعاة التأليه الحسن الفرغانى المعروف بالأخرم[2] الذى نبزه الكرمانى فى هذه الرسالة بالأجدع إمعانا فى تحقيره والسخرية به .

وفى هذه الرسالة «الواعظة» يدحض الكرمانى فكرة تأليه الحاكم ويفندها ، ويثبت عقيدة الاسماعيلية فى الله الذى لا إله إلا هو ، تلك العقيدة التى تحدث عنها الكرمانى فى كتبه الأخرى فقال : إنه تعالى واحد ولا شريك له ، وأن لبسيته محال[3] ، وهو سبحانه متعال عن الانقسام ، وبرىء من أنحاء النقصان ، وإن تنوول بصفة أو قيل عليه شىء من الصفات فتلك الصفات هى مأخوذة مستعارة من الموجودات التى هى واقعة تحت الوجود المخترع[4] ، وأن من وصفه فقد كذب عليه بكون ماوصفه به صفة لغيره[5] ، وأنه لا مثل له ، إذ لو كان لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونهما اثنين يوجد فى كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية ؛ فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما وجود ذاتيهما : أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم عليهما جميعا ، ويكون هو الذى أعطى كلا منهما ما اختص به وباين الآخر ، وهو بالألوهية أحرى ، وهو — تعالى من هو —

(١) ابن البطريق : ص ٢٢٢

(٢) رجل أخرم هو الذى قطعت وترة أنفه أو طرف أنفه ، والأخرم المثقوب الأذن أيضاً .

(٣) الكرمانى : راحة العقل ص ٣٧

(٤) المرجع نفسه ص ٤٢

(٥) المرجع نفسه ص ٤٣

من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غيرٌ يسبقه ويتأول عليه فيكون هو دونه ، فهو من فوق نهاية المراتب في الجلال والعظمة والكبرياء والسناء والقدرة والبهاء على أمر يضيق مجال العقول في الاحاطة به ، تعالى الله علوا كبيرا ، فالذى يكون بهذه المثابة فلا يكون له ضد ولا مثل [1] وأنه لا يعرب عنه بلفظ قول ، ولا بعقد ضمير ، وكيف يكون للحروف دلالة على هوية ظهرت عنها المبدعات والمنبعثات والمكونات التى منها هى ، وهو تعالى من ورائها فى ذروة العزة ، فلا تهتدى العقول إلى تناوله بصفة ، أم كيف يكون للعقول طريق إلى تصور فيه وهى لا تعقل الا بما شملته سمة الجوهرية والعرضية [2]

ويقول الكرمانى أيضا فى كتاب الوضيئة : وهو تعالى من حيث هو هو لا صفة له ، ولا نعت ، ولا حد ، ولا شبه ، ولا قرين ، كما ينعت به ما كان من عالمى الجسم والعقل ، وهويته هوية ليست بهوية يمكن أن يكون لغيره من مبدعاته فيها [3] ، والكل منسوب إليه بكون حدوثه بأمره [4] .

ويروى الاسماعيلية أن عليا قال : وصفه تشبيه ، ونعته تمويه ، والاشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والاخبار عنه تحديد [5] .

فمثل هذه العبارات التى ذكرها الكرمانى ، وردد معناها جميع علماء الدعوة الاسماعيلية هى عماد التوحيد عندهم ، وهم فى ذلك يشتركون مع علماء المعتزلة فى نفى الصفات والتنزيه . ولكن الاسماعيلية جعلوا أسماء الله الحسنى للمبدَع الأول الذي سماه الاسماعيلية بالسابق وبالقلم والذى يعرف عند الفلاسفة بالعقل الكلىّ [6] ، وخلعوا على السابق جميع الصفات التى جعلها

(١) المرجع نفسه ص ٤٨
(٢) راحة العقل ص ٥٠
(٣) الكرمانى : الرسالة الوضيئة ص ٢٣ ، ٢٤ (مخطوط) .
(٤) نفس المرجع ص ٢٥
(٥) علىّ بن الوليد : رسالة جلاء العقول (مخطوط) .
(٦) المؤيد فى الدين : المجالس المؤيدية فى مواضع متفرقة .

الفلاسفة للعقل الكلي متأثرين في ذلك بآراء الغنوسطية ، وهذا السابق الذي له هذه الصفات هو ممثول الامام [1] ، ولذلك جعل الاسماعيلية هذه الصفات التي تصف بها السابق الامام أيضا ، ومنها أسماء الله الحسنى التي نفوها عن الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا نرى شعراء الاسماعيلية مدحوا الأئمة بأسماء الله الحسنى على عقيدتهم في تنزيه الله تعالى عن الصفات ، وأن الامام في عصره مثل للسابق ، مع اعترافهم بأن الامام من البشر ، وفي ذلك يقول المؤيد في الدين « إن أولياء الله (الأئمة) من طينة الأرض معجونون ، وللكون والفساد من حيث أجسامهم مضمونون ، يمسكهم الشراب والطعام ، وتلحقهم الأمراض والآلام ، ويقضى عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام » [2] بل أرى المؤيد في الدين يعيب على الشيعة الاثنى عشرية قولهم باختفاء الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري في السرداب ، والقول بأنه حي وسيعود يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً ، فهو يقول « إن من يتوقع طلوعه من السرداب ليس يخلو حاله من كونه بشراً يأكل ويشرب ، فكانت الضرورة تؤدي إلى تصرم عمره منذ زمان ، وإن كان في غير أسلوب البشرية فما ينبغي أن يكون غير بشر من نسل بشر ، وإذا كانت أيدي الحدثان عنه مغلولة فما الذي يقتضى لزوم الستر والكتمان » [3] .

ومعنى هذا كله أن الاسماعيلية لم يؤلهوا أئمتهم ، بيد أن بعض دعاة الاسماعيلية غلوا في الأئمة الفاطميين ونسبوا إليهم الألوهية طورا ، ومعرفة الغيب طورا آخر ، وفيهم قال الكرماني : إن أعظم الفرق ضلالا فرقة الغلاة ضلت وأضلت غيرها فانسلخت عن جملة أهل الدين والديانة [4] وروى القاضي النعمان بن محمد المغربي عن المنصور بنصر الله الفاطمي « إنما أراد الدعاة إلى النار الذين

(١) راجع محمد كامل حسين : نظرية المثل والممثول (بحث قرىء بمؤتمر المستشرقين بباريس سنة ١٩٤٨ وطبع بمطبعة الفكرة بالقاهرة سنة ١٩٤٨) .

(٢) المؤيد في الدين : المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦١ (نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٢٠٦

(٤) الكرماني : تنبيه الهادي والمستهدي (مخطوط) .

انتسبوا إلينا بما ينحلونا إياه أنا نعلم الغيب ، وما تخفى الصدور ، وأشباه ذلك بما افتروه علينا ونسبوه إلينا أن يجعلوه عدة لنفاقهم »[1] ، ويقول المؤيد فى الدين داعى الدعاة « استعيذوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة »[2] ، وهكذا نرى أئمة الفاطميين ودعاتهم يتبرأون من أمثال هذه المقالات التى يغلو أصحابها فى الأئمة ؛ وماقصة تأليه الحاكم بأمر الله إلامن هذا القبيل ، فقد دعا بها قوم من الغلاة ، فعارضها دعاة الاسماعيلية ، وثار بسببها أهل مصر ، ومع ذلك كله فانى أوافق على ماذهب إليه المؤرخون من أن الحاكم كان يميل إلى ادعاء الألوهية ، فالأحداث التى ذكرها المؤرخون من نقمة الحاكم على أهل الفسطاط وبعض الغلمان انتقاما لمقتل الأخرم ، والشدة التى كان يأخذ بها المصريين كلما ثاروا على هؤلاء الدعاة الغلاة ، ومساعدته للدرزى فى فراره إلى سوريا إلى غير ذلك من حوادث ذكرها المؤرخون ، ثم ما جاء فى هذه الرسالة الواعظة من اتهام صريح لأصحاب هذه البدعة بالضلال والكفر وتركهم سادرين فى ضلالتهم وكفرهم دون أن ينالهم من الحاكم أذى ، وهو الذى كان يقتل المخالفين والأصحاب لأتفه الأسباب ، كل هذا يجعلنى أوافق المؤرخين على أن الحاكم كان يحمى هؤلاء الغلاة ويميل إلى تأليه نفسه غرورا وكبرا ، دون أن يستمد عقيدة التأليه من عقائد الاسماعيلية على نحو ما وهم المؤرخون[3] .

ومهما يكن من شىء ، فاننا نقدم الآن « الرسالة الواعظة » فى الرد على الأخرم الحسن الفرغانى أحد الدعاة الغلاة الذين قالوا بألوهية الحاكم ، كتبها أكبر عالم إسماعيلى هو أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى المتوفى حوالى سنة ٤١٢ هـ .

الجيزة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥١ — محمد كامل حسين

(١) القاضى النعمان بن محمد بن حيون : المجالس والمسايرات ورقة ٨٦ (نسخة خطية) .
(٢) المؤيد فى الدين : المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥١
(٣) راجع ما كتبه محمد عبد الله عنان فى كتابه « الحاكم بأمر الله » Silvestre de Sacy : Exposé de la Religion des Druzes.

" الرسـالة الواعظة " [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبطاعة أوليائه تعم البركات ، وصلى الله على دوحة المكارم محمد سيد الأمم وفخر العرب والعجم وسلم على آله الطاهرين أعضاد الملة الحنيفية وأعيان الحكم النبوية أمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله وآبائه الأئمة الطاهرين .

أما بعد . فقد كانت رقعتك وصلت ، أوضح الله لك منار الهدى ، وعاد بك إلى الطريقة المثلى ؛ ووقفت على ما ضمنتها من مسائلك التي تنطق عنك بالكفر والارتداد ، وتشهد عليك بفساد الدين والاعتقاد ، فكانت في اختلال مبانيها وسقيم معانيها على حالة لا يصدر مثلها إلا عن تمييز مختل ، واعتقاد معتل ، فلم أر الاجابة عنها ، والنص على ما تضمنه من الكفر منها ؛ إلا بتليين القول وحسن التلطف ، وسلوك طريق الوعظ والتعطف ، إذ كانت المواعظ للأنفس العليلة دواء ، وبذلك أمر الله تعالى سيد المرسلين وخاتم النبيين محمدا صلى الله عليه بقوله جل من قائل « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »[2]. أى ادع من كان من أهل الحكمة بالحكمة ، ومن كان من ذوى الجهالة والضلالة بالموعظة الحسنة ، ففعلت رجاء أن تنجع فيك فترعوى عن البدعة التى أنت

(1) ورد فى المخطوط (الرسالة الواعظة تجمع موعظة وأجوبة عن مسائل المارق فى الدين حسن الفرغانى الأجدع . من كلامه (أى من كلام الكرمانى) أيضاً ، قدس الله روحه ورزقنا شفاعته بمنه وكرمه) وإذا نظرنا إلى الرسائل التى تضمها مجموعة رسائل الكرمانى يتضح لنا أن عنوان الرسالة الذى وضعه الكرمانى هو (الرسالة الواعظة ، تجمع موعظة وأجوبة عن مسائل المارق فى الدين حسن الفرغانى الأجدع) أما باقى النص السابق فهو من وضع النساخ .

(2) سورة النحل ١٦ / ١٢٤

فيها تنثني ، وقلت لعل وعسى تتذكر فتخشي فتصبح بقبولها وقد جملك ظاهر الاسلام ونورك باطن الايمان ، فما زادتك العظة إلا في غيك استمرارا ، ولا لين القول والتلطف بك إلا في ضلالك تماديا واستكبارا ، فظلات تواصل برقاعك تارة ، وتراسل على لسان أتباعك أخرى ، تطلب أجوبة ما كتبته ، ظنا منك أنه حق متبع ، وأن الطريق إلى إبطاله ممتنع ، وأنا أعظك ثانية قبل تتبع ما كتبت ، وإظهار الكفر فيما أوردت ، جريا على رسم الدين مع مثلك ، فأقول :

إن الله تعالى بعظيم كبريائه لما كان محتجبا عن الرؤية فلا يكون لعباده إليه إلا الاستغفار وطلب الرضى والعفو عما يبدو منهم من الزلات والهفوات ، جعل فيهم ، بفضله سبحانه وسعة رحمته ، منهم الرسل والأوصياء [1] والأئمة الأبرار سلام الله عليهم أجمعين سفراء بينهم وبينه تعالى ، يستغفرون لمن استغفر منهم ، فيعفو الله لهم ويتوب عليهم ، كما قال تعالى في كتابه المبين لنبيه محمد صلى الله عليه « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » [2] . وأنه لما كان مقدورا أن لا يبقى النبي صلى الله عليه بين عباده فيستغفر الله لهم إذا أذنبوا ويهديهم إلى الحق إذا ضلوا ، ويوصلهم إلى ما تعجز أنفسهم بذواتها عن الوصول إليه في عبادة الله تعالى وتوحيده ، حفظ الله بعدله مكانه بالأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين عليهم السلام في زمانهم ، وبأمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله عليه السلام في زماننا ، وبالمنتظرين بعده واحداً بعد واحد إلى يوم الدين فيما بقي ، وخصهم بأن يكونوا سادين مسده في جميع ما كان يتعلق به

(١) الأوصياء جمع وصي . اعتقد الفاطميون أن لكل نبي وصياً ، يوصي إليه النبي بأمر أمته من بعده بأمر من الله تعالى فكان وصي آدم شيث ووصي نوح ابنه سام ووصي إبراهيم ابنه إسماعيل ووصي موسى أخاه هارون ، ووصي المسيح شمعون الصفا (سمعان بن يونان الذي سماه المسيح صفا بمعنى بطرس — الاصحاح الأول ٤٢ من أنجيل يوحنا) ووصي محمد ابن عمه علي بن أبي طالب (راجع رسالة البيان مخطوط بمدرسة اللغات الشرقيه بلندن رقم ٢٥٧٤٠) ، والمجالس المؤيدية ج ١ ص ٥ وسرائر النطقاء ص ٣٩ ، وأسرار النطقاء ص ١٣٠ والفترات القرانات ص ٥٤ وما بعدها . وكلها نسخ خطية بمكتبتي الخاصة .

(٢) سورة النساء ٤ / ٦٤

صلى الله عليه من أمر الله تعالى وأمر عباده لئلا يختص معه قوم من عباد الله تعالى فى الفضل [1] ، بكون النبي صلى الله عليه سببا بينهم لنجاتهم ، وهاديا إلى إصلاحهم ، ومستغفرا لهم دون غيرهم : مع استواء الأقدام فى وجوب الطاعة والعبادة على الجماعة ، وكون الرسول صلى الله عليه رسولا إلى الكافة ، الكائن فى الوجود منهم ومن يجىء إلى الكون إلى يوم القيامة ، عدلا منه وفضلا ورحمة ، وأن باب الله تعالى بمكان أمير المؤمنين سلام الله عليه للتائب مفتوح ، وعفو الله تعالى وعفو أمير المؤمنين عليه السلام لمن طلب ممنوح ، وما بواجب مع القدرة الممنوحة والاستطاعة الموهوبة والمفارقة المقدورة، وكون المرجع إما إلى الثواب وإما إلى العقاب، وصدق الوعد فى الوقوف بين يدى الله تعالى للمواقفة والحساب « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » [2] ، أن يني المرء فى عبادة الرب وتوحيده ، وتصديق الرسول وتفضيله ، واتباع الامام وتوقيره ، فتعقبه الندامة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » [3] حين يرى ميزان حسناته قد خف . وريقه من خوف العذاب قد جف . وهو تحت قدرة الجبار ، ويقال له ولأمثاله : « لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار » [4] . فيقول وقد أيقن من العذاب : بأن لا مناص ومن سوء العقاب لاخلاص « لو أن لى كرة فأكون من المحسنين » [5] يتمنى الشفاعة وأنى له ذلك وقد فرط وقصر وعصى واستكبر وطغى وبغى وتولى واتبع الهوى « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل

(١) قال المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى مجالسه (ولاية الرسول كالمركز الذى تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده ، وإذا كانت هذه نسبة الرسول فى حياته كانت نسبة من يواليه أمر دينه مثلها ، ولكن ذلك نسبة من يليه ومن يلى من يليه ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد ووارثها ولد عن والده انظر : كتاب جامع الحقائق ج١ ص ٥ . نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

(٢) سورة الانفطار ٨٢ / ١٩

(٣) سورة آل عمران ٣ / ٣٠

(٤) سورة ص ٣٨ / ٥٩

(٥) سورة الزمر ٣٩ / ٥٨

قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون »[1] . بل يجتهد والله تعالى يوحد ، والرسول صلى الله عليه يصدق ، والوصي يقدم ، والامام الهادى سلام الله عليه يتبع ، والعمل الصالح يعمل ، وباليوم الآخر يؤمن ، وبالحشر والنشر والجنة والنار يوقن ، فيلقاه جهده يوم حشره أكرم معين ، فيسعد مع الأئمة والأوصياء والأنبياء فى جوار رب العالمين . فان قبلت ، وعن أباطيلك رجعت ، فقد حماك جمال الاسلام ، وتولاك عز الامام ، وحصلت من أهل الايمان . وإن أبيت ، وعن الاتعاظ امتنعت ، إصرارا على ضلالتك التى أنت فيها تضل عباد الله وتمنعهم عن عبادة الله ، وتنقص مراتب حدود الله تعالى وتزيد « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون »[2]، ولا عما يفعله المكذبون فانه يقول جل من قائل « وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ، إن لدينا أنكالا وجحيما ، وطعاما ذا غصة وعذابا أليما »[3] . وان طالبا يطلب خراب المساجد وسد أبواب العبادة ، وإبطال الوسائط فى نيل السعادة لطالب ممتنع لا يثمر له إلا الخذلان وسخط الرحمن ، نعوذ بالله من ذلك ، ومن الضلالة بعد الايمان .

ثم أبتدىء في جواب كلامك وسؤالك ، وإظهار كفرك وضلالك ، فأقول :

إننى وجدت رقعتك أولا خرساء عمياء جذماء بتراء باسقاطك منها اسم الله ربك ورب العالمين ، وإلهك وإله الأولين والآخرين ، وخالق السموات والأرضين ، الذى ألف تركيبك فى ظلمة الأحشاء ، وصورك وأخرجك إلى ساحة الهواء ، ورزقك وأنعم عليك ، ومن الأنعام ميزك . الذى سجدت له الجباه ، وله شهدت الشفاه بأنه الرب الإله ، « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه »[4] .

(1) سورة الأعراف ٧ / ٥٣
(2) سورة إبراهيم ١٤ / ٤٢
(3) سورة المزمل ٧٣ / ١١ ، ١٢ ، ١٣
(4) سورة الاسراء ١٧ / ٦٧

واسم خير من عبد ووعظ ووحد ، وبلغ الرسالة وأنذر . وأدى الأمانة وحذر ، محمد المصطفى صلى الله عليه ، والإقرار به والصلاة عليه . الذي اختاره الله تعالى من بين عباده ، وأقامه للدعاء إلى توحيده ، وتوجه بمكارم الأخلاق النفسانية ، وخصه بمجامع الأنوار القدسانية ، وبعثه والأصنام معبودة في حرمه فهشمها ، والأوثان في بيته منصوبة فكسرها . وأصبحت به كلمة الحق متعالية ، وكلمة الشرك والضلال واهية هاوية . وأمر الله تعالى بالصلاة عليه في كتابه الكريم حيث يقول جل من قائل « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[1] .

واسم الوصي والأئمة الطاهرين وأمير المؤمنين سلام الله عليهم أعمدة الحق وأعضاده ، وشموس الدين وأطواده ، الذين هدم الله بهم أركان الضلال ، وبين بمكانهم الحرام من الحلال ، ولا يقبل الله عملا من أعمال العباد إلا بولايتهم[2] ، ولا صلاة من الصلوات إلا بالصلاة عليهم ، الذين بدت بهم معالم الدين وقد أشرقت مطالعها ، ومراسم العبادة القويمة وقد سلكت مشارعها .

ولا تخلو أن تكون في تظاهرك بولاء أمير المؤمنين عليه السلام إما متبعاً له ، أو غير متبع ، فان كنت متبعاً فبمخالفتك إياه سلام الله عليه ، فيما أمرك به في السجلات المكرمة من السلام عليه وعلى آبائه الطاهرين في جميع المكاتبات ، وقعودك عن الاقتداء فيما يفعله سلام الله عليه من تصدير سجلاته وجميع مكاتباته وخطبه ببسم الله الرحمن الرحيم ، والاستفتاح به والصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد والتبرك بها ، قد كفرت .

(١) الأحزاب ٣٣ / ٥٦

(٢) قال جعفر بن منصور اليمن في كتابه سرائر النطقاء [لا دين إلا بطاعة علي وولايته ولا نعمة تامة إلا مودته ومحبته ، ولا قبل للأئمة فرض ولا سنة ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبته والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله (على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٣٨ نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد)] .

وقال القاضي النعمان إن جعفر الصادق قال « بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله ، فمن أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله (دعائم الاسلام ص ٣٩ نسخة خطية بمكتبتي) » .

وإن كنت غير متبع فقعودك عن اتباعه عصيان ، والعاصي فيه ضال كافر ، فى كلا الوجهين ما تنفك من الضلال والكفر [1] .

وأما قولك : فمن عرف منكم إمام زمانه حياً فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبى أو وصى أو إمام .

فقول زور وكفر ، كيف يكون أفضل من نبى أو وصى أو إمام من كان ما يحسنه من دينه من فضلهم وعلمهم ، أم كيف يكون أفضل منهم من هو تحت حكمهم وأمرهم ، وهو محتاج إليهم ومتبع لهم ، ولا تخلو أن نكون فى علمك ذلك ، إما أنك استفدته من بشر جسمانى مثلك ، أو أنك استفدته من ملك روحانى ، فان كنت استفدته من بشر جسمانى مثلك فهو أفضل منك ، إذ هو العلة فى معرفة ما عرفته ، والعلة أبداً متقدمة الرتبة على ما بها كان وجوده ، ثم إن الذى أفاد من أفادك أفضل منه أيضاً كذلك إلى أن ينتهى إلى نبي أو وصى أو إمام ؛ فيكون هو أفضل من غيره ، وقد انتقض قولك ذلك وظهر كفرك . وإن كنت استفدته من ملك روحانى ، فلا يستفيد من الملك الروحانى وحيا — على ما ينقسم إليه بحسب المراتب — إلا نبي أو وصي أو إمام ، أفأنت نبي أو وصى أو إمام ؟ وبطل أن تكون إماماً بكون الإمامة لغيرك ، وبطل أن تكون وصياً إذ لا يكون وصياً من لا يكون إماماً ، وبطل أيضاً أن تكون نبياً إذ لا يكون نبياً من لا يملك هذه المراتب ، فلا إمام أنت ولا وصى ولا نبي ، وإذا لم تكن إماماً ولا وصياً ولا نبياً بطل كونك مستفيداً من الملك ، وإذا بطل ذلك فقولك كفر وضلال .

ثم إيجابك أن من عرف الامام فهو أفضل ممن مضى من نبي أو وصى أو إمام هو الايجاب أن من عرف الامام فهو أفضل من الامام ، وذلك أن من القوانين فى الاعتقادات أن الامامة والوصاية والنبوة رتب لمنة الله تعالى التى بها يستحق

(١) روى الشيعة أن جعفر الصادق قال : الجاهلية جاهليتان : جاهلية كفر وجاهلية ضلال فجاهلية الكفر ماكان قبل مبعث النبي ، وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن إمام زمانه (جامع الحقائق ج ١ ص ١٥١ نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

الممنون عليه أن يكون إماما ووصيا ونبيا ، وأن هذه المنة ليست إذا منّ الله تعالى بها على نفس طاهرة تزول عنها بمفارقتها شخصها ، فلا تستحق أن يقال إنها ممنونة بها عليها ، بل هي لهـا في ذاتها تمامية لجوهره ، ولا تفارقها ، وإذا كانت الامامة والوصاية والنبوة رتبا لمنة الله تعالى بها . والممنون بها عليه تستحق أن يكون إماما ووصيا ونبيا لاغير ، كان قولنا نبي ووصى وإمام أسماء لمن منّ الله تعالى عليه بمنته فجعله إماما ووصيا ونبيا . وإذا كان قولنا نبي ووصى وإمام أسماء لمن منّ الله تعالى عليه بالامامة والوصاية والنبوة ، كان قولك هو أفضل من نبي أو وصى أو إمام هو القول بأنه أفضل ممن من الله تعالى عليه بالإمامة والوصاية والنبوة ، وإذا كان قولك هو القول بأن من عرف الإمام حيا هو أفضل ممن من الله تعالى عليه بالامامة والوصاية والنبوة ، وكان الامام الذى عرفه ممن من الله تعالى عليه بالامامة ، كان منه الايجاب أنه أفضل منه ، وذلك كفر نعوذ بالله من الكفر .

ثم نقول : إذا ثبت أن بالمنة والاصطفاء يصير الامام إماما ، وكان من قولك أن من عرف الامام حياً فهو أفضل ممن مضى من نبي أو وصى أو إمام ، ولم يكن من مضى من نبي أو وصى أو إمام نبيا ووصيا وإماما إلا بالمنة والاصطفاء الذى به كان الامام الذى عرف إماما لا غير ، كان منه الايجاب أنه أفضل من الامام الذى عرفه ، بكون العلة في إمامة من مضى وإمامة من عرف حيا — وإن كان كل من الأئمة يختص في ذاته وأحواله بمـا لا يختص به الآخر — علة واحدة ، ووقوع العلم بأن أشياء عشرة إذا كانت مشتركة في علة واحدة ومعنى واحد ، وكان شيء آخر غيرها خيرا من شيء واحد من تلك الأشياء العشرة أو شيئين أو أكثر في المعنى الذى اشتركت فيه جميعها فهو خير من سائرها وأفضل ، وإذا كان قولك موجبا على الوجوه التى ذكرتها ، كون من عرف الامام حيا خيراً منه وأفضل فقد ظهر كفرك وزندقتك نعوذ بالله من الكفر والزندقة .

وأما قولك : إن من عبد الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لاروح فيه ، واستدلالك على ذلك بأن الله اسم ، والألف منه شبيه بالطول ، واللام

منه شبيه بالعرض ، والهاء منه شبيه بالعمق ، فيكون طويلا عريضا عميقاً وأن الله تعالي اسم وهذه صفته والمعنى هو الشخص .

فما أضعفه من استنباط ، وأدلة على اختلاط قائم ، إذ أوجبت الطول والعرض والعمق للألف واللام والهاء ، بكون الألف شبيها بالطول ، واللام شبيها بالعرض ، والهاء شبيها بالعمق كما زعمت ، فالذى يكون طويلا عريضا عميقا جملة الاسم الجامع للألف واللام والهاء الشبيهة بالطول والعرض والعمق لا المسمى ، فلو كان الطول والعرض والعمق فى المسمى لأجل اسمه — بكونه جامعا للألف واللام والهاء الشبيهة بالطول والعرض والعمق — للزم أن يكون ما لا يجمع اسمه الألف واللام والهاء لا طويلا ولا عريضا ولا عميقا ، وبوجودنا أن الأمر بخلاف ذلك ، بكون اسم الطويل العريض العميق الذى هو جسم خاليا من الألف واللام والهاء ، وله الطول والعرض والعمق فى ذاته ، صح وثبت أنك سلكت فى الاستنباط طريق الضلال ، فان الطول والعرض والعمق الموجودات من الأجسام لا لأجل أسامها ، فتخلو منها إذا لم يكن الاسم جامعا للألف واللام والهاء ؛ بل من ذواتها على ما خلقها عليه خالقها جل وتعالى ، وكيف يكون الله تعالى وتكبر شخصا ، والشخص جسم والجسم غير منفك من الحوادث ، وهو من قبيل ما يقبل أثر غيره . كما نراه عيانا من تغاير أحواله واستحالاته ، وما يكون متغايرا ومستحيلا وقابلا لأثر غيره فهو محدث ، وما يكون محدثا ، فله محدث أحدثه .

ومما يدل على أن الله تعالى ليس بجسم[1] أنه لما كان ذات الجسم ليست إلا مادة وصورة ، وكان إحداها حاملة والأخرى محمولة ، وكان اختصاص كل من المادة والصورة بما اختص به من كون المادة حاملة للصورة

(١) قال الكرمانى فى المشرع الثالث من السور الثانى من كتاب راحة العقل « ثم إنه تعالى ليس بجسم فيكون لنا طريق إلى الكلام عليه بما يليق بالأجسام ، ولا فى جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما يلزم فى الأجسام لما يوجبه الدليل — على ما بيناه فى رسالتنا المعروفة (بالواعظة) — من وجوب ما يتقدم عليه أن لو كان جسما أو كان فى جسم (راحة العقل ص ٤٣ ؛ نشر محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى) . والاسماعيلية ينفون الصفات عن الله تعالى ويجعلون هذه المقالة أصل التوحيد عندهم . فمن الطبيعى إذن أن يقولوا إن الله ليس بجسم ولا فى جسم .

وكون الصورة محمولة فى المادة بامتناع وجود الاختصاص إلا عن وجود المخصص الفاعل يوجب ما يتقدم عليهما مما عنه كان وجودهما على ما اختصا به ، وكان الله تعالى لايتقدم عليه ما يصير به مسبوقا ومخلوقا ومبدَعاً ، بعد أن كان هو مبدِعا وخالقاً وسابقا ، كان من ذلك العلم بأن الله تعالى ليس بجسم ، إذ لو كان جسما لوجب بما قلنا وجود ما يتقدم عليه ، وإذا كان الله تعالى ليس بجسم ، فأقول ولا في جسم أيضا ، تعالى الله وتكبر ؛ وذلك أن الله تعالى لو كان فى الجسم وجاز كونه فيه لكان لا يخلو أن يكون فى كونه فيه إما مناسبا له أو غير مناسب ، فان كان فى كونه فيه تعالى الله عن ذلك غير مناسب له . فهو فى كونه فيه محتاج إلى حافظ هو غيرهما يحفظ وجوده ووجود ما هو فيه معا ؛ إذ من شأن مالا يكون مناسبا لغيره أن ينافره ؛ ولا يوجد معه إلا برابط يحفظهما جميعا هو غيرهما ، ومحال أن يكون وجود الله تعالى بغير يحفظه ، وإذا كان محالا وجود الله تعالى بغير يحفظه بطل وجوده فى الجسم ؛ إذ الشرط فى وجوده في الجسم مع كونه غير مناسب له أن يكون محتاجا إلى غير يحفظ وجوده ، وقد استحال وجود غير يحفظ وجوده ، وإذا بطل وجوده فى الجسم فهو غير مناسب له لا يجوز كونه فيه ، فالله تعالى ليس بجسم ، ولا فى جسم .

وإن كان فى كونه فيه تعالى الله وتكبر عن ذلك مناسبا له فلا يخلو أن تكون مناسبته : إما من جهة الصورة ، أو المادة ، أو كليهما ؛ فان كان مناسبا لكليهما ، فهو جسم ، وقد بطل أن يكون تعالى جسما بما قدمنا ذكره ، وإذا بطل أن يكون جسما بطل أن يكون مناسبا لكليهما ، وإن كان مناسبا من جهة الصورة فلا يخلو أن يكون : إما مناسبا فى كل الوجوه ، أو مناسبا لها فى بعض الوجوه ، فان كان مناسبا لها فى بعض الوجوه ، ففى مباينة كل منهما صاحبه بما لم يتناسبا فيه اختصاص كل منهما بما اختص به ، وفى اختصاص كل منهما بما اختص به وجوب وجود ما يتقدم عليهما مما عنه كان اختصاصهما ، ومحال وجود ما يتقدم على الله سبحانه . وإذا كان محالا وجوب وجود ما يتقدم على الله سبحانه بطل أن يكون له اختصاص ، وإذا بطل أن يكون له اختصاص بطل كونه

مناسبا لهما من بعض الوجوه، وإذا كان الله تعالى عن ذلك مناسبا لهما فى كل الوجوه فهو هى، واختصاصها بأن تكون محمولة دون أن تكون حاملة يوجب مخصصا لها يتقدم عليها. وإلا لم تكن الصورة مع عدم المخصص بأن تكون محمولة أولى من أن تكون حاملة، ولا المادة بأن تكون حاملة أولى من أن تكون محمولة، ولا يمتنع أن يكونا شيئا واحدا بلا اختصاص يوجد فيهما، ومحال وجود مخصص موجد للأوائل التى هى المبادىء بلا واسطة غير الله تعالى. وإذا كان محالا وجود مخصص فاعل موجد غير الله تعالى بطل أن يكون له اختصاص، وإذا بطل أن يكون له اختصاص بطل أن يكون الله تعالى هو الصورة.

وكذلك الكلام على المادة تقسيما حتى يبطل أن يكون الله تعالى هو المادة.

وإذا كان الله تعالى عن ذلك فى كونه فى الجسم مناسبا له، لم يخل أن تكون مناسبتها : إما من جهة الصورة أو المادة أو كليهما. وبطلت الوجوه الثلاثة بطل أن يكون مناسبا له؛ وإذا بطل أن يكون مناسبا له استحال وجوده فيه تعالى وتكبر، ولما كان الله تعالى لو كان فى الجسم وجاز كونه فيه، لا يخلو أن يكون كونه فيه إما مناسبا له أو غير مناسب، وبطل أن يكون مناسبا أو غير مناسب بوجوب وجود ما يتقدم عليه ويحفظ وجوده أن لو كان مناسبا أو غير مناسب ثبت أنه لا فى الجسم، تعالى الله وتكبر. وإذا كان الكلام قد أسفر عن الأمر فى أن الله تعالى ليس بجسم ولا فى جسم وهو متقدس عن صفات الجسم على كونه تعالى متقدسا أيضا عما يدرك بالعقول والأفهام [1]، فقد ظهر أن العبادة ليست لشخص، وأن المعبود ليس بشخص، وظهر كفر ك وإلحادك نعوذ بالله من الكفر والالحاد.

(1) يقول المؤيد فى الدين : العقل لا يدرك إلا المدركات العقلية التى هو متجوهر بجوهرها، وأن مبدعه متعال عن أن يكون مدركا كالواحد منها (جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٨).

ويقول فى ديوانه (القصيدة الثانية — راجع ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة نشر محمد كامل حسين):

وليس من جنس المعقول الله | يا قوم كى تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور | مجسما كيما يلاقيه البصر

وأما سؤالك عن الآية « عينا فيها تسمى سلسبيلا »[1] ، فلا تخلو من حالين : إما أنك من أهل القبلة المرضية ، ومن جملة العابدين لله جل اسمه بالملة الحنيفية ، أو خارج عنهما . فان كنت منها فتركك تسمية الله تعالى في رقعتك والاقرار بالرسول صلى الله عليه والصلاة والسلام على أمير المؤمنين وآبائه الأئمة الطاهرين الهادين إلى توحيد الله جل ذكره خروج منها ومفارقة لها ، ومن كان ذلك صورته في مضاهاة الزنادقة والمعطلة في الكفر بالله وبالرسول لا يطلع على سر الله تعالى ومعاني كلامه ، ولا على سر الرسول ولا على سر الأئمة إلا بعد الاقرار وأخذ العهد . وإن كنت خارجا عنها فلا معنى لسؤالك عن الآية وأنت ممن أتى بها كافر وله جاحد حتى تقر به ، ولا بواجب مخاطبتك عليها ، كما أن يهوديا لو سأل عن إمامة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه والدلالة عليها لما كان بواجب مخاطبته على ذلك وهو منكر لمحمد صلى الله عليه وعلى آله حتى يقر بنبوته ، ومتى ثبت عن مقالتك وحسن إسلامك وإيمانك وأردت معرفة التوحيد ، ووجوب الرسالة والامامة ، ومعرفة أقسام العبادة التي هي العلم والعمل وأنواعهما ، والجزاء والثواب والعقاب ، وأن دارهما غير العالم الطبيعي ، وغير ذلك مما يشرحه التنزيل والتأويل ، أخذت حظك من العلم باستحقاقك ، فما شيء من العلوم الدينية إلا وعند أولياء الله وعند تابعيهم[2] على الخصوص بحسب استمدادهم منهم خزائنه ، وما يعلمون أحدا إلا بقدر عند الاستحقاق ، اقتداء بالله تعالى فيما قال « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »[3] .

وأما قولك مخاطباً لأهل الدعوة الشريفة : قد قامت قيامتكم وانقضى دور ستركم .

(١) سورة الانسان ٧٦ / ١٨

(٢) روى الفاطميون أن النبي (ص) قال : تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار (السيرة المؤيدية ص ٤) وقال المؤيد (في القصيدة ٥٥) :

العلم قوم به خصوا أقامهم رب الورى للورى في أرضه علما

وهذا الرأي الذي دانوا به جعلهم يقولون بالستر ، فهم يسترون علومهم إلا على بعض الخاصة .

(٣) سورة الحجر ١٥ / ٢١

فالكلام الذي يتعرى من البرهان هو ضرب من الهذيان ، فكيف قامت القيامة ولها أشراط وعلامات بينها سيد الأنبياء ورسول رب العالمين محمد شمس الأنوار ومفخر الأئمة الأبرار صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين ، ولم يظهر شيء منها ، أم كيف انقضى الدور ومعاقد التنزيل والشريعة محفوظة وبعين البقاء إلى يوم الدين ملحوظة ، وأصدق القائلين جل وعز يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » [1] أم كيف انقضى ولم يتم حدوده ولا استتم موعوده ، وعلامة تمام كل شيء من الموجودات في عالم الكون والفساد استكمال صورته بالفعل بحسبما يكون عليه الموجود القائم بالفعل أولا ، ولو علمت أين من الدور في أي نسبة لأقصرت عن هذيانك ، لكنك باتباع رأيك خيلت إليك نفسك الأمارة بالسوء ما خيلت من الضلال وسوء المقال ، وهيهات ثم هيهات ، « أولئك ينادون من مكان بعيد » [2] أين أنت مما أومأنا إليه في رسالتنا المعروفة بمباسم البشارات [3] عما يقضيه الله تعالى لمحمد رسوله صلى الله عليه بوليه في أرضه أمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله سلام الله عليه من بسط شريعته وتأييد أحكامه وسنته في المسلمين كافة ، ويجدده من القوة

(١) سورة الحجر ١٦ / ٩

(٢) سورة فصلت ٤١ / ٤٤

(٣) « رسالة مباسم البشارات » هي إحدى الرسائل التي تضمها مجموعة رسائل الكرماني ، واسم الرسالة بالكامل ، كما ورد في النسخة الخطية التي امتلكها « مباسم البشارات بالامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين » وأول الرسالة « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب الأرباب ، ومالك يوم الحساب ، الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً ، وما بينها وبين الأرض بعين الفناء ملحوظاً . . الخ » وقد ذكر الكرماني أنه كتب هذه الرسالة في مصر بعد أن وفد عليها ، وهي تشتمل على أربعة عشر فصلا تحدث فيها عن بيان إمامة الحاكم بأمر الله وصدقها ، والبشارات الواردة من الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم بحقها ، وما ينجز الله تعالى له من وعده ، والكلام على الأسباب العارضة التي طرأت في عهد الحاكم ، ورأى الكرماني فيها أنها ليست إلا لما يريد الله تعالى من تصديق قول الأنبياء وما هو إلا أمارات تقوم مقام النص بأن الحاكم ولي الحق . ويستشهد الكرماني في رسالته هذه ببعض آيات من التوراة باللغة العبرية كتبها بالحروف العربية ، ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، مما يدل على أن الكرماني كان واسع الثقافة ملماً بأكثر من لغة .

بعده فيمن يقوم مقامه سلام الله عليه وييسر الله له من الفتوح والبشارات[1] أم أين أنت من الإمام الثامن عشر وأفعاله في دور النبي صلى الله عليه، وأفعال الحادي والعشرين والخامس والعشرين والثامن والعشرين والثاني والثلاثين والخامس والثلاثين سلام الله عليهم، بل أين أنت من الإمام التاسع والخمسين وعجيب أفعاله سلام الله عليه في هذا العالم باستعلاء كلمته على كل كلمة تخالف ما جاء به النبي صلى الله عليه[2] بل أين أنت من المسألة الذى يملك فيعز من يشاء

(١) النص الذى يشير إليه الكرماني هو ما ورد في رسالة مباسم البشارات «إن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله سلام الله عليه في كونه إماما في وقته وقائماً في زمانه وقائداً لأهله رشفيعاً لمستحقين بحبله، وإن لم يكن سابعاً من الأسابيع فله من القوة والتأييد الممتد إليه من جهة الله تعالى بموازاته للأعداد التي من شأنها إفادة التمامية ومناسبة إياها ما يخدمه بإذن الله تعالى الفلك بأجرامه والزمان بشهوره وأعوامه فينجز الله تعالى به وعده لمحمد جده صلى الله عليه بقوله تعالى: «يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين» (٢١/سورة الأنبياء/ الآية ١٠٤) أي نطوى ذكر الإمام الضال ودولته كما طوى الغاصب الظالم ذكر أئمة الهدى ونعيد الأمر في كونه كباقي بيت محمد (ص) كما كان بديا فيملك المسلمين بأسرهم كما ملكهم النبي (صلعم) في زمانه ويفتح الله له من الفتوح ما يتعس به جد إبليس وأهله ويستأصل شأفة الضلال وأصله» (ورقة ١٠٤ ا من مجوعة رسائل الكرماني).

(٢) جاء في رسالة مباسم البشارات «ولا يجب أن يعتقد إذا ظهر في أحد هذه الأيام قوة سماوية ومواد إلهية أنه صاحب القيامة الكبرى الذى لم يحن وقته ولم يجئ زمانه إذ ذلك لا يكون إلا بعد مضى حدود دور محمد (صلعم) بتمامها وكمالها، فعلى رأس ذلك الحد الذى هو في آخر الحدود وبه تمامية حدود دور النبي محمد (صلعم) تكون القيامة التي حكم النبي (صلعم) باستداد حسبه ونسبه إليها وسيكون للسادس عشر والثامن عشر والحادي والعشرين إلى تتمة الحدود شأن من الشأن (ورقه ١٠٩ ب من مجوعه رسائل الكرماني) ويلاحظ أن الحاكم هو الإمام السادس عشر في دور النبي محمد (ص) — وأول الأئمة هو الحسن بن علي بن أبي طالب أما علي فهم يعتبرونه وصياً، ومرتبه الوصاية عندهم أعلى من مرتبه الامامه وتلى مرتبة النبوة — ولا أدرى هذا الشأن الذى تحدث عنه الكرماني فالتاريخ يحدثنا أن الحاكم وهو السادس عشر كان مضطرباً في حكمه. والامام الثامن عشر وهو المستنصر بالله بدأت الدولة تضعف في عهده وتلاعبت به أمه ثم الوزراء، والامام الحادي والعشرون هو في زعمهم الامام الطيب ابن الآمر. والمؤرخون يقولون إن الآمر لم ينجب ولداً بينما يقول الاسماعيلية المستعلية إنه أنجب الطيب الذى استتر ولا يعرف عنه ولا عن نسله شيء إلى الآن. فأين إذن هذا الشأن الذى تحدث عنه الكرماني. أما عند الاسماعيلية النزارية فلم يظهر لأئمتهم شأن إلا في أيامنا هذه على يد إمامهم الثامن والاربعين وهو محمد الحسيني المعروف بأغاخان.

ويذل من يشاء بإذن الله رب العالمين . كلا إنك لفي ضلال مبين ، وإن إنسانا يظن انحلال معاقد الدين ممكنا أو جائزاً ، تعطل العباد عن عبادة الله تعالى ما دامت السموات والأرض لعقله سخيف وتخيله سقيم ، وهو بأن يُهدى أحق من أن يهدي ، وما يعلم ذلك إلا العالمون الذين صح في توحيد الله تعالى ومعرفة حدوده اعتقادهم ، والطف في عبادة الله تعالى وطاعة أوليائه عليهم السلام مكانهم وارتيادهم ، وإن بقيت فسوف ترى كيف تكون عوائد الله تعالى عند المسلمين كافة في بلادهم شرقا وغربا بما يعمهم من أمر ولي الله سلام الله عليه ، وينالونه من السعادة بعدله وتأييد أحكام الشريعة والتنزيل والتأويل في دور الرسول صلى الله عليه وآله .

وأما قولك : ما الاسلام وشرائطه ؟

فالاسلام وشرائطه شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فمن قال ذلك فهو مسلم ولزمه شرط الاسلام ، وحلت مناكحته وموارثته والصلاة عليه إذا مات ، وأن يقبر في مقابر المسلمين [1] .

وقولك : وما الذي يتقرب به إلى المعبود ؟

(1) نلاحظ أن الفاطميين يفرقون بين الاسلام والايمان ، فالاسلام مثله مثل الظاهر والايمان مثله مثل الباطن ولا بد من إقامة الاسلام والايمان جميعاً والتصديق بهما معا والعمل بما يجب العمل به منهما فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون مسلماً أما الايمان فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق والبعث حق والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، والتصديق بأنبياء الله ورسله والأئمة ، ومعرفة إمام الزمان والتصديق به والتسليم لأمره والعمل بما افترض الله على عباده والعمل به والانتهاء عما نهى عنه (تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ١٢ نسخه خطية بمكتبتي) في ذلك نتبين أن الفرق بين الاسلام والايمان في عقيدتهم هو أن الايمان يزيد عن الاسلام بمرتبة معرفة الامام وولايته .

فالعمل الصالح ما توجبه الشريعة والسنة والاعتقاد الصحيح فى توحيد الله تعالى [1] .

وقولك : وما الذى استعبد الله به الخلق ؟

فالجنسان العاليان اللذان تقع تحتهما أنواع العبادات وهما العلم والعمل [2] بحسب الأمر والنهى من جهة الله تعالى وجهة رسوله صلى الله عليه وعلى آله .

وقولك : أهو العلم كله أم جزء من العلم أم أثر من العلم ؟

ففى تقسيمك ذلك إنباء على نفسك بقلة المعرفة . وأقول فى الجواب ، لا أثر ولا جزء ولا علم فقط ولا شىء غيره ، بل علم وعمل .

وقولك : فما بال الأنفس لم تختلف فى آثار الطبيعة وعلوم الصنائع واختلفت فى آثار الأنبياء عليهم السلام ؟

فأقول : إنما لم تختلف فى آثار الطبيعة لكون الموجودات الطبيعية مدركة بالحواس فلا يقع الاختلاف فيما بين ذواتها ، وفى آثار الأنبياء عليهم السلام إنما تختلف فيها لكونها غير محسوسة وتتعلق معرفتها بالأنفس ، والأنفس فى ذواتها ما لا تتبع المعلمين من الدعاة المنصوبين من جهة أئمة الحق

(١) التوحيد عند الفاطميين هو اصل الدين (جامع الحقائق ج ١ ص ٥٤) وهو أن ينفى عنه جميع ما يليق بمبدعاته التى هى الأعيان الروحانية ومخلوقاته التى هى الصور الجسمانية من الأسماء والصفات والحدود ، ويتصور أنه ما كاد ينقدح لأحد فكر فيه جل جلاله إلا وذلك الفكر مثل المفكر ومصنوع ومحدث وأن الله سبحانه صانعهما ومحدثهما ولا يناسب شيئا منهما (المجالس المؤيدية فى مواضع متفرقة) . ويقول صاحب كنز الولد ص ١٠٩ (نظام توحيد الله نفى الصفات عنه وإقامة حدوده) وصرح المؤيد بأن إخلاص التوحيد لا يثبت إلا بثبوت رتبة الوصاية والامامة وبها الابانة عن مقامات الحدود الروحانية والجسمانية وتنزيه الحق عن صفات هؤلاء الحدود (جامع الحقائق ج ١ ص ١٣) .

(٢) يصرح الكرمانى أن أنواع العبادات يجمعها العلم والعمل ، والعلم يسمى العبادة الباطنة ، والعمل العبادة الظاهرة ، والمقصود بالأولى وجوب التأويل الباطن والاعتقاد به ، والمقصود بالثانية القيام بفرائض الدين من صوم وصلاة وطهارة وزكاة وحج وجهاد وولاية وهى دعائم الاسلام عند الفاطميين .

عليهم السلام في معرفة معالم الدين التي هي آثار الأنبياء عليهم السلام [1] فإنها تأبى إلا اتباع المزاجات والمزاجات مختلفة، وبحسب اختلافها تختلف الاعتقادات والآراء، ولذلك أوجب الله تعالى طاعة الأئمة والرسل عليهم السلام ليهدوا الأنفس بأمر الله سبحانه، ويأخذوها من الضلالة إلى الطريق المستقيم في العبادة. فاعرف ذلك.

وقولك: هل الشريعة محدثة أم قديمة مع الدهر؟

فالشريعة وجودها بوجود واضعها وراسمها، وما يكون وجوده بوجود غيره فهو محدث.

وقولك أم قديمة مع الدهر إيجاب أن الدهر قديم فهل من دليل؟

وقولك: هل الشريعة هي الدين ولا دين غيرها، أم هي طريق الدين؟

فالدين معان كثيرة، وأقربها الطاعة، والطاعة لا تكون من الشريعة بل من العامل بها إذا أقام عليها وأدى حقها فيكون طائعا ودينا.

وقولك: إن كانت الشريعة محدثة فما الدين الذي لم يزل ولا خلف فيه؟ إيجاب لدين قديم لم يزل، فهل من دليل، وإلا فالكل من مرئي وغير مرئي، ومعقول ومحسوس وموجود ومعدوم محدث، أحدثه الله الذي لا إله إلا هو الذي بابداعه ظهرت الأشياء كلها على أقسامها، تعالى الله وتكبر.

وقولك؟ ما النفس؟ وما العقل؟ وما غاية الابداع الذي فوق الروحانيين والجسمانيين؟ فعلم ذلك شريف مثبت في صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بررة. وهو عندنا معشر الدعاة وديعة من جهة أربابها: الرسول صلى الله عليه والوصي عليه السلام، والقائم فينا عبد الله ووليه

(1) روى الاسماعيلية أن النبي قال «تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار» وذهبوا إلى أن النبي والأئمة من ذريته هم الذين اختصوا بعلوم الدين الظاهر منها والباطن دون غيرهم من البشر، والأئمة يعلمون الدعاة، والدعاة يعلمون المستجيبين، وقد ثبت لنا بعد قراءة كتب علماء الدعوة الاسماعيلية أن الحقائق التاريخية تثبت عكس هذا الادعاء، فالدعاة هم الذين وضعوا علوم الدعوة ونسبوها إلى الأئمة (راجع ما كتبناه من ذلك في كتاب ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ص ٦٢، وفي مقدمة كتاب المجالس المستنصرية ص ٧).

ابن نبيه الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وآبائه الأئمة الطاهرين سلام الله عليه وعليهم أجمعين ، على أن نؤديها إلى من استحق ممن أقر بفضلهم ودان الله تعالى بطاعتهم . وأنت فقد قطعت الأسباب ، وأنكرت الأرباب وصرت في جحودك فضلهم ومنزلتهم مستمرا ، وعلى كنودك لهم وكفرك مستقرا ، تخل في تفضيلهم بالاعتقاد والاقرار ، وتستند في بابهم إلى الانكار ، ومتى عاودت طريق العبادة على شرائطها بسطنا لك في علم ذلك وغيره ما ترتع في رياضه باذن الله تعالى .

وأما قول أصحابك : إن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين سلام الله عليه .

فقول كفر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال ، هذا أن دعوا للاله المعبود غيرا ، فياالجسارة على الله حين جعلوا له تعالى شريكا ما أعظمها ، ويا لجرأة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما أفظعها ، ولقد قالوا عظيما وافتروا إثمـا مبينا ، وإن ذلك إلا كفر محض ، فما أمير المؤمنين عليه السلام إلا عبد لله خاضع وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ويعظمه غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح ، وعليه في أموره يتوكل ، وأمره إليه يفوض ، والله تعالى قد فضله على خلقه وجعله من جهة رسوله محمد صلى الله عليه خليفة له في أرضه ، ووسيلة لعباده إلى جنته ، وأوجب طاعته على عباده[1] ، وهو سلام الله عليه يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه ، وكيف يكون معبودا وهو جسم ذو أبعاض مؤلفة ، ونفس ذات قوى مكلفة ، يأكل ويمشي وينام ويستيقظ وتنطوي عليه الأحوال المتضادة من رضا وسخط وغم ومسرة وسقم وصحة كغيره من البشر[2] ، وهو سلام الله عليه ينفي ما تنسبه

(1) روى القاضي النعمان أن المعز لدين الله قال : إن الله قد فضلنا وشرفنا واختصنا واصطفانا وافترض طاعتنا على جميع خلقه وجعلنا أئمة لجميع عباده [المجالس والمسايرات ص ٥٨ نسخة خطية بمكتبتي] .

(2) قال المؤيد في الدين : إن أولياء الله من طينة الأرض معجونون بالسكون والفساد من حيث أجسامهم مضمونون يمسكهم الشراب والطعام وتلحقهم الأمراض والآلام ويقضي عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام [جامع الحقائق ج ١ ص ٦١] فالامام عند الفاطميين لا يختلف عن سائر البشر إلا من جهة نفسه الشريفة التي هي أثر ما يحاذيها من الحدود العلوية الشريفة ، فاختلف الفاطميون عن الشيعة الاثني عشرية الذين قالوا إن إمامهم محمد بن الحسن العسكري لا يزال حيا ، واختلفوا عن الغلاة الذين ألهوا الائمة .

أنت وأصحابك إليه عن نفسه . كلا إن المعبود ليس إلا الاله الذى له يسجد أمير المؤمنين سلام الله عليه ، ويوحده ويسبحه وعن النعوت والصفات يقدسه ، وله سجد من النبيين والأوصياء والأئمة المتقين وتابعيهم ، واياه يعبد وله يسجد من يخرج إلى الكون منهم ما دام عقل وفاض عدل ، الذى خلق السموات بأفلاكها والنجوم بأنوارها ، والأركان بطبائعها ، والمواليد بأجناسها « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم اياه تعبدون »[1] .

وأما قولك وقول أصحابك : إن الشريعة والتنزيل والتأويل خرافات وقشور وحشو ولا تتعلق بها نجاة . وأنهم لا يوجهون وجوههم إلى القبلة لأنها حائط ولا يسجدون إليها ! !

فهو شقاوة تدعو إلى حر النيران ، وكفر من عمل الشيطان وارتداد من الاسلام وخروج من أهل الايمان ، وكيف يكون التنزيل المستنير والتأويل المنير والشريعة الغراء التى هى أسس العبادة ، وبها ينال الفوز والسعادة قشوراً وحشواً ، ولا تطلب حكمة إلا كانت لها بحراً ، ولا يلتمس نور ومعرفة إلا كانت فى أفقها بدراً ، أم كيف تكون كذلك وهى سبب الخيرات الجسمانية ومجمع السعادة النفسانية ، ومنبع البركات القدسانية ، وبها توطد مهد الأمن والاستقامة ، ومن جهتها فاض نور العدل والسلامة ؛ وبسببها عرف الآباء والأمهات ، وبشرائعها علم البنون والبنات ، وبأحكامها [illegible] أمر العبادات ، وبسنتها انحفظ الحريم ، وباستعمالها عز الكريم ، ولأجلها انسدت أبواب الفتن ، وببركتها انطفت نيران الإحن ، وعليها يثاب العامل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، « كلا إن الفجار لفى جحيم »[2] .

وان قولك لقول سقيم ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »[3] فلولا أسدل أمير المؤمنين عليه السلام ستر الأمن على المؤمن والمنافق والمسلم والكافر حتى استوت الأقدام فيه لكان

(١) سورة فصلت ٤١ / ٣٦

(٢) سورة الانفطار ٨٢ / ١٤

(٣) سورة آل عمران ٣ / ٨

الجواب عن ذلك التنكيل بك ، ثم قطع اوتين منك ، وتجريد حد السيف عليك ، لكن الأمر لله تعالى ، ولوليه عليه السلام « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ؛ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم »(1) .

وبعد فانى أنصحك ، ومن نكال الدنيا والآخرة أحذرك ؛ وإياك وهذه المقالات الشنيعة ، فلا تعقبك إلا البعد عن الله تعالى ، وعن أوليائه عليهم السلام ، ولا تكسبك إلا العاقبة السوء . ورد عنك من تبعك على ضلالتك رداً بالاقرار لهم ببطلان ما ارتكبته وفساد ما أبدعته ؛ ولا يغرنك الاغفال عنك ، وتب إلى الله تعالى قبل أن تضيق عليك عرصة الامهال ، ويشمر لك ما أنت فيه من الضلال ، عالما أن الدنيا وما فيها إلى انقضاء ودثور ، والانسان من بينها إلى حشر ونشور . والويل لمن أفنى عمره فى ما لا يرضاه الله ولا وليه عليه السلام . فيضل ويفسد ؛ « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »(2) . جعلنا الله وجماعة المؤمنين التابعين للحق وأهله من الثابتين على عهده والقائمين بطاعته ووليه ، وختم لنا بالحسنى وحفظنا من مصارع الهوى ، وحشرنا مع الأئمة الأبرار المتقين في جوار رب العالمين بمنه .

وبعد ذلك نختم الرسالة بالحمد لله رب العالمين وبالصلاة على رسوله محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وبالسلام على آله الطاهرين ، أمير المؤمنين وآبائه الأئمة الهادين ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل . وكتب أحمد بن عبد الله ابن محمد الكرمانى وكتبت عنه بأمره فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعمائة سنة عربية مما نسخت بفسطاط مصر حرسه الله .

هكذا وجدت فى النسخة الأصلية التى نسخ منها هذا الكتاب .

« تمت الرسالة الواعظة »

---

(1) سورة آل عمران ٣ / ١٧٨ — ١٧٩

(2) سورة البقرة ٢ / ١٢ ، ١٣